مُقَدِّمَـــةٌ

لا أدرى إن كنت أستطيع أن أسمى هـذا كتاباً ؛ لأنـه فى الحقيقة مجمـوعة آراء تكونت داخل نفسى ثم خرجت منها ـ ربما على رغمى ـ شيئاً فشيئاً فى صورة مقالات عن الفكـر العربى ، فأنـا رجل أقرأ كثيراً جـدّاً ، والكتب تملأ حياتى ، وأنـا أحس أحياناً أننى كتاب ، وأننى واحد من كتب مكتبتى ، فإذا أعجبك ، فالحمد لله وإلا فإننى أرجوك ألا تغضب عزيزى القارىء ، وألا تحاول أن تناقشنى ؛ لأننى لن أرد ، فأنا لا أملـك ما أقولـه نظراً لأننى قلت كل مـا عندى فى مـوضوع الفكـر العربى ، وهذه الآراء كلها داخل نفسى وما كان لى أن أخرجها من نفسى ، ولكنها خرجت ، والذى أدهشنـى عندما بـدأت أنشـــر هذه الـدراسات أن النـاس رحبوا بها تـرحيباً عظيماً ، وقراء هذا الكتاب زادوا على قراء أى كتـاب آخر لى ، وإلى يومنا هذا يتصل بى ناس بالتليفون ويسألون : أين الكتاب ؟ ! وأنا الآن أقول : هـذا هو الكتاب ، (مبسوطون) ؟

وكل واحد منـا فى ذهنه مثل هـذا الكتاب ، فنحن كلنـا نقرأ ، والفكـر العربى موجود فى صورة مـا فى ذهن كل واحد منا ، ولكن المسألة هنا هى مسألـة كتابة ما فى ذهنك عن الفكـر العربى ، إنها مسألـة تأليف ، والتأليف تسبقـه مسألة تـرتيب ، فكل شىء مـوجود فى ذهنك ، هذا صحيـح ، ولكنه مضطرب غير مـرتب ، ثم إن الموضـــوعات فى ذهنك غير كـــاملـة . فهـى تكـونـت نتيجـة للقـراءة أو لسماع المحاضرات ، ولكنهـا شىء من الشرق وشىء من الغرب ومعلومات متنـاقضة وغير مرتبـة ، ولكى تكتبها لابـد أن تجلس وتجمع الكتب وتقرأ بعنايـة ما فى ذهنك وتـرتبه وتكمله على قـدر ما تستطيع ثم تأخذ فى الكتابـة ، وما كتبته اليوم تبيضـه فى الغد ، وتظل تكتب وتبيض و لا شـىء ممـا تكتبـه يعجبك حتى تطلـع روحك ، ومع ذلك فأنت تجد فى النهاية أنك لم تؤلف كتاباً وإنما هو كلام مجموع فى صورة غير لائقة .

ولكننى عندما شرعت فى كتابـة هذا الكتاب لم يكن فى ذهنى أن أسجل ما يجول فى خاطرى ، فإن الذى فى ذهنى عن الفكر العربى قليل ولا يستحق التسجيل ، إنما

لدىَّ فى ذهنى أفكار غريبة عن الفكـر العربى ، وقد أردت أن أكتبها فى شكل منظم وأجعل منها كتاباً ؛ لأدخل فى مناقشات مع الناس ، وعندما بـدأت الفصول تظهر فى مجلة أكتوبر انهالت علىَّ الرسـائل من كل مكان فى العالم العربى ، و معظم هذه الرسائل ليست غاضبة بل هى خطابات مندهشة ، وتبينت مع مرور الزمن أن الناس (مبسوطون) .

والحقيقة أننا فى العالم العربى ليس لدينا تواريخ كافية للفكر العربى ، إنما نحن لدينا تواريخ للأدب العـربى مختصرة جدّاً مثل تاريخ الأدب العربى لجورجى زيدان أو مطولـة بعض الشىء مثل تاريخ الأدب العربى للدكتـور شوقى ضيف ، ومع أن هذه تواريخ طيبة إلا أنها تقتصر أولاً على الأدب العربى ، ثم فيها ثانياً نقص كبير ، ولـو أنك رأيت تاريخاً للفكـر الإنجليـزى أو الفرنسى أو الأسبـانى لـدهشت ، فإن أنواعهـا ممتازة ، ثم إنها من كل حجم ، ما بين مجلد واحـد وعشرين مجلداً ، ومعنى ذلك ــ بكل صراحـة ــ أننا ليس لـدينا تـواريخ كافيـة لا للفكر العـربى أو الأدب العربى ، وقد تدهش إذا علمت أن التاريخ المحترم الـوحيد للفكر العربى هو الذى كتبه الألمانى كارل بروكلمان ، وأنا أعتمد عليه اعتماداً تامّاً .

ولكننى أرجو القـارىء ألا يظن أن الآراء التى أسوقها هنـا مبادئ أؤمن بها ولا أتنازل عنها ، فهـذه فى الحقيقة آراء عامة ممـا يقع فى الخاطر ولا يصعب التخلى عنها إذا تبين خطؤها ، إنها فى الحقيقة آراء أسوقهـا إلى القارئ راجياً منه ألا يغضب إذا لم يعجبه شئ ، فأنا مستعـد أن أتخلى عن آرائى وأغير منها ، فإن الآراء ينبغى أن تكون قابلـة للتغيير ولا معنى أبداً للتمسك بالآراء كـأنها عقائد ، إنما أنا أقـول لك إنه لا ترضينى قلـة الآراء الشخصية الخاصـة بالفكـر العربى عنـدنا ، فإن النـاس ـ حتى المتخصصين ــ لا يحفظـون فى أذهانهم إلا القليـل جدّاً من المعلـومـات عن الفكـر العربى .

وأنا أسألك الآن : أنت طبعاً تعـرف كتاب « البيان والتبيين » لأبى عثمان عمرو ابن بحر الجاحـظ ، ولكنى عندما أقـول لك : اكتب لى صفحتين عن هـذا الكتاب فأنت لن تستطيع ؛ لأن الأفكـار مـوزعـة فى ذهنك والكثير منهـا أشبه بـالضـائع ، والذى أفعله أنـا هنا هو أننى أجمع الأفكار التى فى ذهنى وذهنك عـن الفكر العربى

وأضعها أمامنا لكى نفكر فيها ، وقد وجدت لذة كبرى فى ذلك وأنت أيضاً ستجد مثل هذه اللذة ، بل ستجد عندك لذة فى أن تقرأ هذا الكتاب أكثر من مرة ؛ لأنه فعلاً طريف ، أحياناً ستحس أنك غير راضٍ عما تقرأ ، ولكنك عندما تقرؤه مرة ثانية ستجد لذة فى إدارة ذهنك فيما تقرأ ؛ لأن الفكر العربى فى الواقع طريف جدّاً ، ولكننا مهملون ، ونحن لا نعنى بأشيائنا ، فحاول الآن أن تقرأ هذا الكتاب أكثر من مرة ، وحاول أن تدير ذهنك فيما تقرأ ، وليس من الضرورى أن تنتهى إلى رأى ، بل المهم أن تدير ذهنك فى الفكر العربى وترجع إلى الكتب وتراجع ما تقرأ مرة ومرتين أو ثلاثة ، فهذا هو الهدف الذى كُتِبَتْ هذه الفصول من أجله .

وبعد ، فهذا الكتاب مقدمة للفكر العربى ، ولا أريد أن أجعل لهذه المقدمة مقدمة طويلة ، فأنا سأتركك الآن لتقرأ الكتاب وتفكر فيه ، ويمكنك أيضاً أن تكتب لى فأنا أحب المناقشة ، فاقرأ وليعنك الله على الاستمرار فى القراءة ، والله سبحانه معك ، وهو سيعينك ، ونحن جميعاً سندخل بهذا الكتاب فى ندوة عن الفكر العربى ، والله سبحانه يعيننا كلنا بإذنه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

المؤلف

د. حسين مؤنس